المحاضرة الثامنة

التنظيم الاقتصادي لمملكة بوغندة:

طوال القرن التّاسع عشر شكّلت الملكية تحديًا كبيرًا بالنسبة للأشكال القديمة للسيطرة على الأرض، و'الباتاكا' (Bataka) كانت اسمّيًا فقط تَدَّعي مِلْكِيتَها على الأرض؛ لأنَّ الملك أصبح يُسيطر على مُعظم الأراضي بواسطة رؤساء العشائر الذين تمَّ تعيّينهم من طَرَفِهِ، وأصبح هؤلاء الرؤساء مِثل الزبائن المَلَكيّين، وأغلب الأراضي أُعطيت إلى أعضاء العائلة المالكة، وخَدَم المَلِك، والرؤساء الإداريّين الكِبار المعروفين بـ 'باكونغو' (Bakungo)، يستغلونها لأنفسهم وهم عُمَّال في مكاتِبِهم، وشَكَّلَ الرؤساء من رُتَبٍ مختلفة قاعدة القوة للمَلِك باعتبارهم لِجَان رقابةٍ للملكِ.

إنَّ تاريخ مملكة بوغندة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بزراعة الموز؛ ممَّا جَعَل للأرضِ قيمة أكبر من أيُّ وقتٍ مضى، وعلى مَرِّ المراحل التي مرَّت بها مملكة بوغندة تبَيَّن أنَّ المؤسّسات الاجتماعية التي تعاقبت على المملكة كانت كُلّها تجعل من الموز مِحْوَر غذاءها الأساسي، ونشاطها الزراعي الأول، ولم يقتصر الأمر على مملكة بوغندة فقط؛ بل مُعظم سكان شرق إفريقيا، ومنطقة البحيرات كان هو غذاؤهم الرئيسي، وعبر أجيال متعدّدة قاربت الألف سنة، كما أنَّ ثقافة هذا المجتمع تدور كُلّها حول هذه الزراعة، فهو يُستخدم في جميع الأوقات، وفي جميع مجالات الحياة، حيث تُسْتَخْدم ثِمَارُه للغذاء، وأزهارُه للطقوس، والأوراق للتغليف، وصُنعِ المِظَلّات، وبِشَكلٍ عامٍ يُمكن القول أن الموز هو مركز ثقافة الباغندة.

وعلى غرار زراعة الموز تعتبر مملكة بوغندة من أهمّ المناطق تربيةً للماشية؛ لوجود مراعي كبيرة في العديد من أجزاء المملكة، والمناطق التي كان يُفَضِلُها الرُّعاة هي تلك السهول الطويلة التي تتخلَّلُها بُرَكُ الماء المالحة، والعُشب الذي ينمو في هذه السهول هو عشبٌ قصيرٌ على الرغم من وجود مناطق أخرى ينموا بها عُشْبُ خَشِنُ، وكُلَّما تمَّ رَعْيُ تلك الأعشاب، إلّا وعادت للنمو مرّة أخرى.

كان ملوك مملكة بوغندة، ورؤساءها لهُم رُعاة خاصُّون من قبيلة 'الباهيما' (Bahima) ، وللمَلِك قُطعانًا من الماشية يمكن عَدُّها بالألف رأس، إلى جانب الرؤساء الذين يملكون أيضا قطعان لا تَقِلُّ أهميةً عمَّا يملكه المَلِكُ، و باقي الفلاحين لهم أعداد متفاوتة منها، وليس بالعدد الكبير، وهذا خوفًا من طَمَعِ الملك، أو الرؤساء في الاستيلاء عليها، هذا إلى جانب الأبقار التي تعتبر كذلك ثروة كبيرة لدى مجتمع بوغندة، واستعملت أيضا كوحدة نقدية يتم من خلالها تحديد أسعار المنتجات.

الصناعة: تعتبر الصناعة من أهم القطاعات التي ركزت عليها بوغندة خلال القرن التاسع عشر، وبالخصوص الصناعات التي تتعلق بالقصر الملكي واحتياجاته بالإضافة إلى أدوات الحرب والدفاع عن المملكة.

ومن أبرز الصناعات هي الصناعة الحديدية حيث بدأت في مملكة بوغندة بطريقة بدائية، وفي وقتٍ مبكر، ولا يمكننا تحديد زمن بداية استعمال الحديد بدقّة، وأُولى الأدوات

التي أُستُعمِلت كانت المِجْرَفة، والُّرمح كأداة حربية، ويعتقد البعض أنَّ هذه الأدوات جاءت لأول مرَّة من مملكة 'بانيورو' (Banyoro)، كما أنَّ المناجم التي يتمُّ استخراج مادة الحديد لم تكن متوفرة في مملكة بوغندة؛ لأنَّ المناطق الغنية بهذه المادة كانت ما تزال لم تُضَم بعد للملكة، وما وِجِدَ منها هو قليل.

وعلى غرار الصناعة الحديدية تعتبر صناعة قماش لحاء الأشجار من أعم الصناعات، ويعرف هذا القماش باسم 'الباركلوث' (Barckloth)، ويعتبر هذا الأخير من الألبسة الرئيسية عند الباغندة، هذا إلى جانب بناء الزوارق التي تدخل في النشاط التجاري في منطقة البحيرات حيث المسطحات المائية عديدة.

وإلى جانب ذلك برع سكان بوغندة في صناعة الطبول، وهي متعددة بتعدد مجالاتها، حيث نجد الطبوب الملكية، طبول الحرب، طبول تولية الملك الجديد، طبول العشائر.

التجارة:

كانت التجارة في منطقة البحيرات الكبرى ولا سيما تجارة الملح والذهب رائجة في العديد من ممالك المنطقة، وهذا بفضل وجود شبكات واسعة للملاحة في النيل ومختلف بحيرات المنطقة كتنجانيقا، كيفو، إدوارد، جورج، ألبرت، كيوجا، فيكتوريا، بالإضافة إلى الطرق البرية التي كانت تربط بوغندة بالمناطق البعيدة حيث كانت بوغندة تصلها ثلاث طرق رئيسية واحد جنوبي قادم من زنجبار عبر أوجيجيUjiji ، وتابورة Tabora، إلى غاية بوغندة، والثاني شرقي قام من مومباسا Mombasa بساحل شرق كينيا، والثالث شمالي يمر عبر وادي النيل قادم من السودان.